فلسفة التدرج الحراري للقاعات الداخلية للحمامات الشعبية الإسلامية كقيمة صحية

أ.د/ أشرف حسين إبراهيم
أستاذ التصميم البيئ
قسم التصميم الداخلى والأثاث
كلية الفنون التطبيقية – جامعة حلوان
ashrahus@gmail.com

أ.م.د/ دينا فكري جمال إبراهيم
أستاذ مساعد
قسم التصميم الداخلى والأثاث
كلية الفنون التطبيقية – جامعة حلوان

م. سارة محمد بليغ حسن
مصمم حر
sarahbaliegh@outlook.com

المستخلص:

تتمحور هذه الدراسة البحثية حول نقطة هامة يتميز بها تصميم الحمامات الشعبية التراثية،وهي التدرج الحراري للقاعات الداخلية للحمام،وتأثير ذلك النهج والفلسفة التصميمية على وقاية جسد المستحم من التعرض لإي أذى بدني، نتيجة للتفاوت في درجات الحرارة بين المناخ الخارجي والداخلي للحمام،بينما حالياً اندثرت فكرة التدرج الحراري للقاعات الداخلية للحمام الشعبي التراثي،بالرغم من اهميتها وقيمتها الصحية والتراثية كهوية للحمام الشعبي، لذا كان من خلال هذه الدراسة نحاول إلقاء الضوء على تلك الميزة والسمة الهامة من سمات الحمام التراثي،والحث على الاهتمام بها عند تصميم وتشيد حمامات شعبية مستحدثة.

الكلمات المفتاحية:

الحمامات الشعبية الإسلامية التراثية ؛ التدرج الحراري ؛ الطبيب الأبكم.

تاريخ استلام البحث: 2022/8/1 **تاريخ إجازة البحث: 2022/8/20**

تمهيد:

- "الطبيب الأبكم"، لقب أُطلق على الحمام الشعبي منذ قديم الزمن، ،فلم يكن فقط مكان للمتعة والاسترخاء، فقد كان مرتبطاً بالعديد من الفوائد الصحية، وله دور رئيسي في علاج العديد من الأمراض، كالإصابة بأمراض الأوعية الدموية مثل ارتفاع ضغط الدم وأمراض القلب والأوعية الدموية والأمراض العصبية الإدراكية، وكذلك تحسين حالات مثل التهاب المفاصل والصداع والأنفلونزا، كما تم افتراض أن الاستحمام المنتظم بالحمامات الشعبية قد يحسن وظائف القلب والأوعية الدموية. **(ابو الفتوح،1980م، ص187)**
- وقد استطاع الحمام الشعبي التراثي توفير ظروف راحة حرارية داخل فراغاته تتلائم مع الظروف الحرارية المعينة التي تتطلبها بيئة الحمام الداخلية من ارتفاع كل من درجة حرارة الهواء والرطوبة أي توفير البخار، عن طريق تتدرج المستحم بين فراغاته الداخلية عبر المساحات التدريجية في زيادة في الأجواء الحارة والرطبة ثم العودة إلى المناخ الطبيعي، وهذا بهدف التكييف مع الظروف المناخية الخارجية والحفاظ على الراحة الحرارية داخل الحمام مع الحفاظ على البخار ودرجة الحرارة.
- دخول الحمام مش ذي خروجه مثل كان يضرب ليقصد من وراءه ان دخول الحمام يكون سهلا ميسورا على أساس أن المستحم يدخل من باب الحمام إلى البراني ومنه مباشرة إلى القسم الجواني، أما عند خروجه فعليه أن يتدرج في كل قسم من أقسام الحمام حتى يبدأ الجسم في فقدان حرارته شيئا فشيئا ولا يصاب بالبرد ، وعليه أيضا أن يمكث مدة مناسبة بعد انقضاء الاستحمام في القسم البراني ، وبالتالي فكانوا يرون أن دخول الحمام والخروج منه يتطلب المرور بمراحل معينة.

مشكلة البحث:

- إندثار فكرة التدرج الحراري لقاعات الحمام الشعبي وإغفال قيمتها الصحية.

هدف البحث:

- القاء الضوء على أهمية التدرج الحراري في القاعات الداخلية للحمام الشعبي التراثي، وأهميته في تقليل تأثير التباين في درجات الحرارة بين المناخ الخارجي والداخلي للحمام على جسد وصحة المستحم، والفرق بين التصميم القديم والتصميم الحالي للحمام الشعبي.
- طرح بعض النماذج للحمامات التراثية للتعرف على السلوك المعماري لمسار المستحم داخل الحمام، وتطبيق هذه المنهجية فيما هو مستحدث، لأهميتها وتأثيرها على الصحة العامة.

أهمية البحث:

- لم يكن الحمام الشعبي التراثي الإسلامي مكان ترفيهي أو وسيلة للاستحمام والاغتسال فقط، بل كان مكانا للعلاج والاستشفاء أيضاً، مما جعل الفكر المعماري الإسلامي حريص على تقديم حلول لمقاومة الظروف الخارجية المناخية المحلية رغم اختلاف المناخات المحلية حسب الموقع الجغرافي والبلاد.
- والمناخ المحلي هو: المنطقة الخارجية المحيطة بالحمام"الظروف المناخية والطقسية" لموقع الحمام،التي قد تكون على هيئة مناخ ساحلي مثل الذي في طرابلس (لبنان)،حيث القرب من البحر مع رطوبة متوسطة منتظمة، مناخ القاري مثل في القاهرة حيث تتراوح الرطوبة اليومية من الرطوبة العادية إلى الجفاف خلال موسمين متباينين بشكل معتدل طوال العام، مناخات الهضبة الجنوبية شبه الرطبة كيفما في فاس وقسنطينة دون جفاف تام صيفاً وبرودة شديدة في الشتاء، مناخات الهضبة الجافة مثل في دمشق وفي أنقرة مع صيف طويل جاف وشتاء بارد متأثر بالرياح الشمالية.
- وقد ساعدت هذه المنهجية في التصميم على حصول المستحم على أقصى استفادة ممكنة من الحمام وعملية الاستحمام الداخلية، وشعوره بأنه في مهمة متدرجة أو رحلة متنقلة والعودة منها مرة أخرى لأرض الواقع الخارجي، دون إصابته بأي تعب أو إعياء، مما يدعوا لأمية هذا الفكر التصميمي.

مجال البحث:

- التصميم الداخلي لحيزات الحمامات الشعبية.

منهج البحث:

- استخدمت الدارسة **المنهج الاستقرائي:** حيث يهدف هذا المنهج إلى طريقة وصف شيء معين مما يؤدي إلى استنتاج شيء آخر، لذلك عند استخدامه في التفكير المنطقي فإنّ ذلك يعني جمع المعلومات والوصول إلى النتائج باستخدام الملاحظة، وهذا ما عملت عليه الدارسة، من عرض بعض النماذج للحمامات التراثية والحمامات المستحدثة، ثم الوصول إلى بعض النتائج والملاحظات.
- كما لجأت الدارسة إلى الاستعانة بالمنهج **الوصفي التحليلي:** حيث يهدف هذا المنهج إلى تحليل الظاهرة المدروسة،وبعد الإنتهاء من دراسة هذه الظاهرة نقوم بعقد المقارنات بينها وبين ظاهرة أخرى ومن ثم استخراج نتيجة،وقد اعتمدت الدارسة على هذا المنهج في وصف وتحليل سمة أساسية من سمات الحمام الشعبي وهي التدرج الحراري في الحيزات الداخلية، مع طرح بعض النماذج من الحمامات التراثية والمستحدثة للمقارنة، بهدف إيضاح الفكرة، والوصول لنتيجة مستخلصة وهي تفعيل هذه الفلسفة في جميع أو غالبية الحمامات الشعبية التراثية ، واندثارها والإغفال عنها حالياً.

الدراسات السابقة:

- سعاد محمد حسن حسنين، "الحمامات في مصر الإسلامية، دراسة أثرية معمارية"، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة،1944م، تناولت الرسالة، أهمية الحمامات الشعبية في المجتمع الاسلامي المصري، والدور الاقتصادي للحمامات والتوزيع الجغرافي لها، والدراسة المعمارية للحمامات، وعناصرها المعمارية والزخرفية.
- عاطف فهيم عبد العزيز،"الحمامات الشعبية في مصر"، رسالة ماجستير، كلية الفنون الجميلة، جامعة القاهرة، قسم عمارة،1975م، تتحدث الرسالة عن تاريخ الحمامات الشعبية في مصر بداية من عصر البطالمة الي القرن الثامن عشر، متناولة اسباب النشأة والاختلافات التي طرأت على تصميم وعمارة الحمامات، والهيئة التي كانت عليها، وطقوسها داخل حيزاتها باختلاف العصور.
- منصور محمد عبد الرازق معوض،"الحمامات العامة بمدينة حلب منذ بداية العصر الأيوبي وحتى نهاية العصر العثماني"،رسالة دكتوراة،كلية الآثار،جامعة القاهرة،قسم

الآثار الإسلامية،2011م، تناولت الرسالة دراسة الحمامات العامة بمدينة حلب منذ بداية العصر الأيوبي وحتى نهاية العصر العثماني، و الأسباب التي أدت إلى كثرة أعدادها، وأيضاً مصادر إمداد هذه العمائر بالمياه و كيفية عمل هذه الحمامات ومراحل الاستحمام بها مع حصر العاملين فيها وألقابهم المختلفة بالإضافة إلى حصر الأدوات التي كانت مستخدمة فيها، كما تناولت المخططات المعمارية لهذه الحمامات والوحدات والعناصر المعمارية المكونة لها والمواد الخام والعناصر الزخرفية المستخدمة في عمارتها وزخرفتها ، بالإضافة إلى إجراء دراسة مقارنة لما يناظرها بمدينتي دمشق والقاهرة.

أولاً: فكر الحمام الشعبي التراثي في عملية الاستحمام:

- تطور الحمام الشعبي كمبنى من الأصول الرومانية والبيزنطية، حيث تم استيعابه عندما غزت الاسرة الأموية الأراضي البيزنطية في الشرق الأوسط بين عامي 661 ،750، تم بناء الحمامات المبكرة في القرن الثامن من قبل الأمويين الذين أسسوا عاصمتهم في دمشق، أشهرها قصير عمرة، الواقع اليوم في شمال شرق الصحراء الأردنية.
(Blaise,J.Y.,2000.P28)
- ثم عند ازدهاره في العصور الاسلامية، تم تكييفه ليتناسب مع متطلبات الإسلام من (الوضوء والغُسل والطهارة، وعدم التعري جهرا إلى غير ذلك من التعاليم) والتي كان لها تأثير مباشر على تصميم الحمام العام حيث تم الاستغناء عن أحواض المياه الكبيرة التي كانت موجودة في الحمامات الرومانية، حيث أصبح الاغتسال بسكب الماء فوق الجسم بدلاً من غمره في المغطس، كما تم التخلي عن نظام التدفئة تحت الأرضية (نظام التدفئة ال hypocaust للحمامات الرومانية)، وعدم الاختلاط بين الجنسين فقد كان لكل منهما أوقات محددة أو بناية خاصة. **(المناوي، 1987م، ص45)**
- تعدى الحمام الشعبي الاسلامي حدود وظيفة الاستحمام فقط، بل درس المناخ والبيئة المحيطة، وخامات البناء المتلائمة مع الظروف الحرارية الخاصة بالحمام، ودرس طبيعة جسم الانسان ونفسيته، ووضع فلسفة التدرج الحراري في الحسبان، وعمل على تطورها واعتمدها في أغلب الحمامات الشعبية.

ثانياً: الأهمة العلاجية للحمام الشعبي:

- إن استخدام الحمام الشعبي بغرض التطهر يفسر سبب اعتباره أحد أهم مرافق المدينة الإسلامية، حتى أصبح ملحقاً بالمسجد، كما أطلق عليه لقب الطبيب الأبكم؛ نظرا لما يتميز به من جو دافئ يمكن الجسم من إخراج ما فيه من عرق؛ مما يساعد على معالجة العديد من الأمراض وأمراض الروماتيزم بصفة خاصة.
- كانت الحمامات الشعبية إحدى وسائل الصحة، حيث كان من عادة المصريين مثلاً إنه إذا أحسوا ببوادر أعراض ما يلحقهم من مرض أو انحراف في الصحة أن يعللوا ما اعتراهم من ذلك بانسداد المسام، وقلة إفرازات الجلد، وسرعان ما يلجئون في إزالة هذه الأعراض إلى الحمامات الشعبية؛ لاستثارة إفراز العرق الغزير من أبدانهم، وهذا وحده يكفي لتبديد ما ظهر من تلك الأعراض عادة. **(Marcais, G. ,1954, P540)**
- ومن الأساليب الشعبية المستخدمة في علاج الروماتيزم التدليك على أيدي معالجين شعبيين كالمدلكين المشتغلين في الحمامات الشعبية بالمدن، كما أن الحمامات الشعبية تدخل ضمن أساليب العلاج الشعبي غير المنزلي التي كان يلجأ إليها بعض المتعلمين الحضريين بمدينة القاهرة.
- فكانت للحمامات الشعبية أهمية كبيرة من الناحية الصحية، حيث تعتبر من المنشآت العلاجية التي وفرت نوعا من الرعاية الصحية لأفراد المجتمع على مر العصور، ومنافع الحمام كثيرة: فهو يوسع المسام، ويزيل الأوساخ، ويلين البدن، ويذهب الإعياء والتعب، كما كان يجري تجبير الكسور في الحمام خاصة إذا كان الكسر قد يمر عليه زمن، أو إذا كان الجو بارد، كما قصده أيضا المرضى الناقهون، والسيدات النفساوات بعد أن يلدن بأربعين يوما).**(Saadaoui, A.2003, PP91-132)**
- ويذكر الطبيب "ابن سينا" عن خواص الحمام أنه نافع وضار، ومنافعه التفتيح والتحليل وإزالة الإعياء، ومضاره تضعيف القلب إن أفرط فيه، وتوريث الغثيان، كما يفيد أيضا من أراد التسمين وزيادة وزنه على أن يكون دخوله الحمام بعد الطعام، أما من أراد التهزيل (التخسيس) فيجب أن يستحم على الجوع ويكثر القعود فيه، وأما من أراد حفظ الصحة فقط فيجب أن يدخل الحمام بعد هضم ما في المعدة.

- ويذكر الطبيب "ابن جزلة" هذه الفوائد فيقول: "إن التدليك في الحمام يفتح المسام، ويحلل البخار، والتمرخ بالدهان (أي وضع الدهان) بعد الاستحمام بالماء الحار يحفظ الحرارة الرطوبة.
- أما الطبيب الفرنسي الشهير "كلوت بك" الذي عاش بمصر فترة طويلة في عصر محمد علي، وهو مؤسس مدرسة الطب في مصر، فهو يؤكد على دور الحمامات الشعبية في وقاية المستحمين من كثير من الأمراض، وعلاج الكثير منها، فتراه ليسجل أن الفضل في الشفاء من أمراض خطيرة كالزهري والجرب وكثير من الأمراض الشائعة في الشرق إنما يرجع إلى مداومة المصريين على التردد على الحمامات الشعبية.
- وقد أشار "جالينوس" وهو طبيب يوناني إلى أن الحمام نافع في الشتاء والصيف، فالحمام علاج للبدن في الضدين، إن دخله حاد المزاج عدله بترطيبه، وإن دخله بارد المزاج أفاده بحرارته، وهو يرطب الأبدان اليابسة الخشنة، ويفتح المسام، فيسهل بذلك خروج الفضلات، ويصير البدن في نشاط وقوة، وقد أشار أيضا إلى أن أفضل الحمامات مطلقة من جهة الطب ما كان مرتفع السقوف؛ لئلا تنحبس فيه الأنفاس المختلفة، كثير الأضواء واسع البيوت، عذب الماء، معتدل في حره، فيفتح مسام البدن، ويكسبه نداوة ورطوبة صافية، كما أن للحمام الشعبي فائدة كبيرة في تجبير الكسور، فيحسن أن تجري عمليات التجبير في الحمام. **(حسنين، 1944م، ص212-225)**
- كما جاء ببعض وثائق الوقف المملوكية ذكر استعمال الحمامات العامة للعلاج، حيث جاء بوصف حمام الدود أنه يضم خلوه دواء (وهي صيدلية مصغرة لوضع الأدوية والعقاقير والدهون المتنوعة) وقد أشار الطبيب "شمس الدين القوصوبني "الذي كتب رسالة عن الحمام وفوائده الصحية إلى أن التدليك في الحمام يصلب الأوتار والعضلات، ويفتح المسام، كما نصح لمن أراد إنقاص وزنه بالبقاء فترة طويلة في أكثر مواضع الحمام سخونة، وأكد على أنه ينبغي أن يكون دخول المستحم تدريجيا بأن يمكث في كل بيت من بيوت الحمام بضع من الوقت ، ثم ينتقل إلى البيت الآخر، فالإنتقال إلى البيت الحار دفعة واحدة مضر بالصحة، ونصح لمن قصد التسمين أن يدخل بعد الغذاء، ومن قصد التهزيل فليدخل على الجوع، أي قبل الطعام، ويطيل اللبث فيه، ومن قصد حفظ الصحة فليدخل عند اهضام الطعام في معدته، وقد أشار "القوصوني "إلى شروط الحمام الجيد هي أن يكون معتدل

الحرارة، فالحمام المفرط الحرارة يشتد إضعافه وإساءته بمزاج القلب والروح، وكذلك يجب أن يكون كثير الضياء، وينبغي أن يكون مشتملاً على مواضع تصلح للاضطجاع عليها، فإن ذلك قد يحتاج إليه بعد الخروج ليسترد المستحمين قواهم بعد تعرضهم لحرارة الحمام، كذلك ينبغي أن تكون المسلخ نافورة ماء لتضفي طراوة على المستحمين وأن يكون في جدرانه من النقوش والصور ما يكثر ميل النفس إليه لتأمله.

ثالثًا: أسس تصميم الحمامات الشعبية الإسلامية:

- تذكرنا وسيلة الرازي لاختيار مكان المستشفى التي أراد الخليفة العباسي بنائها في بغداد وأراد منه أن يحدد المكان الملائم لبنائها، وكانت وسيلته في تحديد المكان هو أنه قام بوضع قطع متفرقة من اللحم النيء في عدة مناطق من مدينة بغداد، وأخذ يلاحظ سرعة تعفنها وفسادها في تلك الأماكن، وفي النهاية اختار المكان الذي تأخر فيه فساد اللحم، إذا اعتبره هو المكان المناسب لبناء المستشفى أو "البيمارستان "لأنه علم من بطء فساد اللحم أنه أنقى هواء ، بأن الفكر المعماري الإسلامي دائماً ما كان يهتم بدراسة جميع الجوانب الخاصة بالصحة العامة للمنشأ والقاطنين فيه أو مستخدميه، دائماً ما تتم دراسة اتجاهات الرياح والمناخ المحلي المحيط، والخامات المحلية المستخدمة ومدى ملائمتها للوظيفة المرجوة من المنشأ ومدى مقاومتها للعوامل المناخية، وإيجاد الحلول في طرق البناء وأسس التصميم، ومن أهم المنشأت الخدماتية الاجتماعية التي حظت باهتمام المعمارين والأطباء والأدباء والشعراء في العصور الإسلامية هي منشأت الحمامات الشعبية، وفيما يلي بعض الأسس التصميمية لها:
- أن يشتمل الحمام على هواء وماء حارين. **(التميمي،2001م، ص13-16)**
- أن يتوافر بالحمام من الداخل- رغم الهواء والماء الحارين، والذي ينتج عنهما نسبة عالية من "الرطوبة" لتواجد بخار الماء بكثافة- فرصة جيدة للتنفس الصحيح كي لا يحدث غثيان أو إغماء.
- ألا يتسرب إلى داخل الحمام أي دخان من الدخان الذي يصدر عن المستوقد الذي يلحق بالحمام لتسخين الماء والهواء، أو غيره من المصادر الأخرى إن وجدت.

- ألا تتعرض الوحدات الداخلية للحمام لتيارات الهواء البارد التي تؤثر سلبًا على المستحمين فيتعرضوا للأمراض الناتجة من التعرض لهذه التيارات.
- الاهتمام بتوفير المقومات الجمالية التي تساعد على الراحة النفسية لجموع المستحمين في كل وحدات الحمام.
- تلبية ما يحقق الخصوصية لبعض الفئات في ظروف معينة كحالات المرضى المعوقين، واختلاف الديانات لمستخدمي الحمام وبخاصة في حمامات النساء أو الحمامات التي تخصص في بعض الأيام للنساء وفي أيام أخرى للرجال.

نافورة حمام تلمسان **نافورة حمام مليانة**

صورة رقم (1) توضح استخدام النوافير في
منطقة بهو الاستقبال في الحمامات الشعبية،
لإضفاء العنصر الجمالي،
وتلطيف الهواء الداخلي للحمام ايضاً

شكل رقم (1) يوضح مسقط أفقي للحمام الشعبي التراثي مريني في الرباط المغرب،ويتضح عليه أسس تصميم الفكر المعماري الإسلامي.

رابعاً: الجسد والروح داخل الحيزات الداخلية للحمام الشعبي:

- يوجد في أي مبنى أو مشروع معماري كيانان بشريان فاعلان يتفاعلان مع الفراغات، الجسد المادي باحتياجاته الأساسية وأبعاده ومتطلبات الراحة، إلخ ... والجسد الاجتماعي الخفي بكل ما له من احتياجات نفسية واجتماعية ثقافية.
- يتطلب الجسد الاجتماعي بيئة معينة يجب تصميمها لتعزيز الرفاهية النفسية والاجتماعية، مثل إتاحة الفرصة للانتقال من مكان إلى آخر إذا لزم الأمر، والتفاعل مع الآخرين أو التمتع بالخصوصية، والشعور بالأمن بالأمان، والتواجد في بيئة مثيرة للاهتمام بسمات جمالية، والعديد من الظروف الأخرى التي تسمح للروح والجسد أن يشعرا بالانسجام معا داخل المبنى. (سعداوي،2003م، ص23)
- الحمام هو مبنى معماري مميز حيث يوفر لجسم الإنسان جو دافئ ومليء بالبخار مع الماء الساخن والبارد والضوء، بالإضافة للخلوات التي هي جزء أساسي من الحمام في منطقة الاستحمام والغسل والفرك، ويساهم في الشفاء من خلال دعم وظيفة الجسم للتعرق وكذلك تقديم خدمة فرك وتدليك الجسم بالكامل، ويمكن اعتبار الحمام التقليدي بمثابة دعم جيد للرفاهية الشخصية والرعاية الصحية الوقائية.
- فقد تم تصميم الحمام أو بناؤه لتلبية ظروف معينة من الراحة المناخية التي تتكون من الانتقال من غرف باردة إلى غرف دافئة ثم إلى غرفة دافئة بتسلسل سلس.
- تم تصميم هيكل المبنى وهيكله بدءًا من الداخل نحو الخارج ، والبحث عن التوازن واضح في الطريقة التي يتم بها تنظيم المساحات الداخلية حيث تتميز المساحات الداخلية بتصميمها المعماري المميز بشكل أساسي باستخدام قباب للسقف مع فتحات للسماح بالإضاءة في الغرف، مع الجانب الزخرفي بشكل أساسي باستخدام الحنيات والمثلثات والمقرنصات في قاعدة القباب وفي الزوايا، تساهم النافورة في صالة الاستقبال أو في أماكن الاستحمام في المشهد البصري الكامل من خلاله صوت غمغمة الماء في الأحواض، تساهم جميع الخصائص المذكورة أعلاه في تكامل جماليات المساحات وخلق بيئة مريحة يمكن أن تولد إحساس بالانسجام مع الكون من خلال القبة حيث أن السماء وفتحاتها على شكل نجمة. هذه تمنح المستخدمين الفرصة للاسترخاء والاستعادة النفسية. الحمام مكان

للاحتفالات مثل احتفالات ما بعد الولادة وقبل الزواج وما إلى ذلك ... وهو مكان تتواجد فيه الطقوس والتقاليد، محترمة ومتوارثة من جيل إلى جيل، لا تزال طقوس الاستخدام والاحتفال هذه حية حتى اليوم وهي تعبير عن الوحدة مع الماضي وتاريخه، هذه الطقوس المساهمة في الحصول على شعور جماعي المعنى والهوية الثقافية.

صورة رقم (2) توضح على اليمين لقطة من داخل قاعات الحمام الشعبي الطيروزي ، دمشق ، سوريا،وعلى اليسار حمام يلبغا الناصري ، حلب (سوريا)،ويتضح فيهما كم الهدوء والاسترخاء الذي يبعثه في النفس هذا التصميم المدروس الرائع لتلك الحمامات التراثية

خامساً: أنماط التنظيم المكاني الداخلي للحمام الشعبي التراثي:

1. يرتبط اختيار شكل المسقط الأفقي لأي حيز بوظيفة هذا الحيز، ومدى قدرة الشكل على التلاؤم مع هذه الوظيفة، بل ويستمر تطبيق الأشكال المفضلة مهما كانت ظروف الموقع والذي يجب أن تتهيأ حدوده وعلاقته بالوسط المحيط لاستقبال أي شكل من الأشكال المفضلة والمتلائمة معه.(El-Habashi, A., (2006), PP. 267-276)

- ووظيفة الحيز في الحمام تتمثل في توفير مكان للمستحمين يخلعون به ملابسهم عند الدخول للحمام ويجلسون فيه بعض الوقت قبل خروجهم حتى لا يتعرضون لأذى التيارات الهوائية، وهذا الموضع عرف بوظيفته الأولى فسمي "المسلخ" ثم ثلاثة بيوت خاصة بالاستحمام تتدرج في درجة حرارتها من المستوى البارد إلى المستوى الدافئ إلى المستوى

الساخن في ترتيب مكاني ثابت عند الدخول وأيضًا عند الخروج وفي هذه البيوت تكون عملية الاستحمام، ويربط بين المحيط الخارجي للحمام ووحداته ممثلة في المسلخ وبيوت الاستحمام ممرات ودهاليز شكل حيزها بشكل معين يساعد على تحقيق وظيفة الحمام تحقيقًا صحيحًا.(Perrin, J. P., Fasse, I. ,1998,P43)

- يتبع الحمام الشعبي التراثي تخطيطًا خطيًا بسيطًا نموذجيًا من وجهة نظر وظيفية، وهو التسلسل المتسلسل من المدخل وغرفة تغير الملابس ثم الي الزيادة التدريجية في درجة الحرارة في الغرف المتتالية.
- يتم الحفاظ على تسلسل المساحات في جميع أمثلة الحمامات الإسلامية التراثية.

سادساً: أمثلة على العلاقات المتبادلة بين غرف الحمام الشعبي و اتباع منهجية التدرج الحراري للقاعات الداخلية:

1. **حمام مولاي إدريس بالمغرب: (El-Habashi, A. ,2006,P270)**

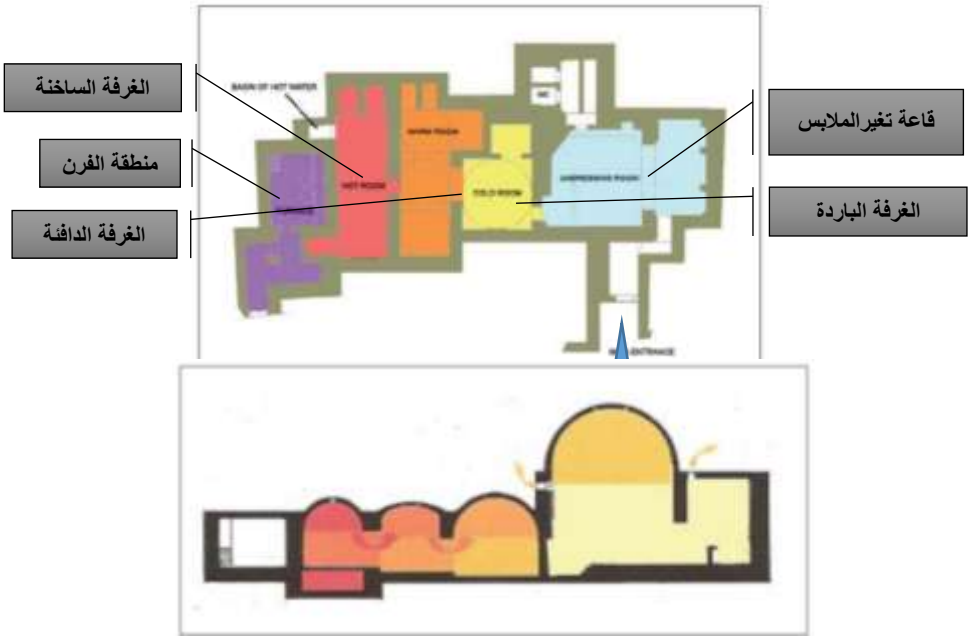

شكل رقم (2) يوضح مسقط أفقي ورأسي لحمام مولاي إدريس في فاس بدولة المغرب،ويتضح عليه تقسيم الحيزات الداخلية للحمام لمراحل او اقسام متدرجة بداية من المسلخ أو غرفة التغير للغرفة الباردة للغرفة الدافئة للغرفة الساخنة للفرن

2. **حمام الطاهر بصنعاء:**

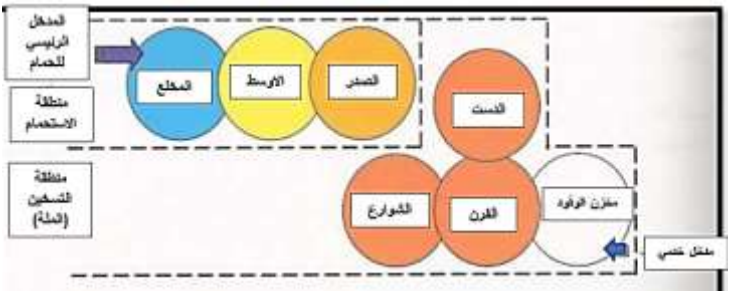

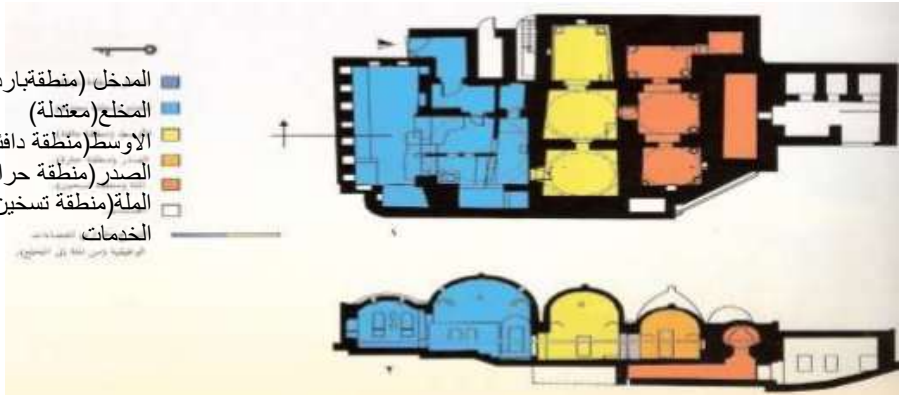

شكل رقم (3) يوضح التدرج الحراري والأقسام الوظيفية للحمام والمسقط الأفقي والمقطع الطولي لحمام الطاهر بمدينة صنعاء

3. **حمام مخفية بالمغرب:**

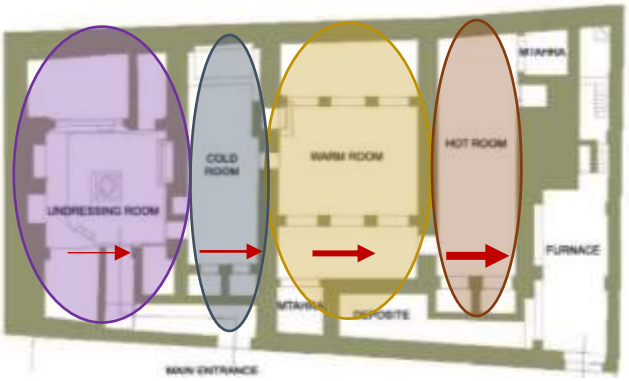

شكل رقم (4) يوضح التدرج في الحرارة في الحمام من البارد للدافئ للأكثر سخونة.

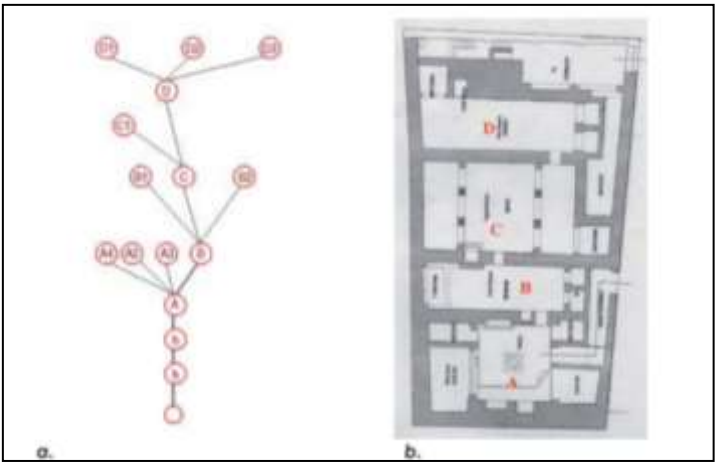

شكل رقم (5) يوضح تخطيط متسلسل كروكي يوضح منهج التدرج الحراري لغرف الحمام الشعبي مخفية ، ويوضح المخطط a:مسار غرف الحمام،حيث h: هي قاعة المدخل- R: الدرج لأعلى - E: المرحاض -ب: منطقة الاستحمام الأولى - C: منطقة الاستحمام الثانية D: منطقة الاستحمام الثالثة.

ويتضح من الرسم الموضح أنه:قُسم الحمام إلي قسمين،القسم الأول (داخلي): ويشمل منطقة الاستحمام وهي مكونة من المدخل المنكسر (المجزع): يتم الهبوط إلى الحمام عبر مدخل منكسر يفضي إلى درج حجري كي لا يواجه المستحم الخارج من الحمام تيار الهواء مباشرة ، وكون هذا الحمام يقع تحت مستوى سطح الأرض للشارع، وهو ميزة تفردت بها الكثير من الحمامات في مدينة صنعاء القديمة . الريشة: هي الدكة أو المصطبة التي يجلس عليها المستحم ليرتاح بعد الاستحمام وقبل خروجه من الحمام، وتستخدم كفاصل حراري يجلس عليها المستحم بعد خروجه من دفء الحمام إلى برودة خارج الحمام وتنقسم الريشه إلى ريشة داخلية، وريشه خارجية، وكلاهما يحتوي في الفراغ الذي يشغله دكة للجلوس، وسميت بالريشه لخفة الهواء الذي يمر فيها، وينعش الجسم كي يتكيف بروية مع الاختلاف الحراري بين داخل الحمام وخارجه، وبالتالي يجنب المستحم حدوث صدمة البرد، ويليه المخلع والأوسط والصدر، القسم الثاني (خارجي): ويشمل منطقة التسخين وتسمى (المِلة)، يوجد بها غرفة الاست، و هو الإناء النحاسي الذي يملأ بالماء ويتم إيقاد النار تحته، والفرن (الموقد)، وهو عبارة عن ممرات تحت

الحمام عادة نافذة إلى الدست الذي يسخن المياه، وتنتقل إلى تحت الصدر لتسخن أرضية المكان،كما ان المخطط الكروكي يوضح ،التدرج الحراري للغرف الوظيفية للحمام.(الأصبحي، أكتوبر2017م،ص20-22)

4. حمام يوسف صهيب بالمغرب :

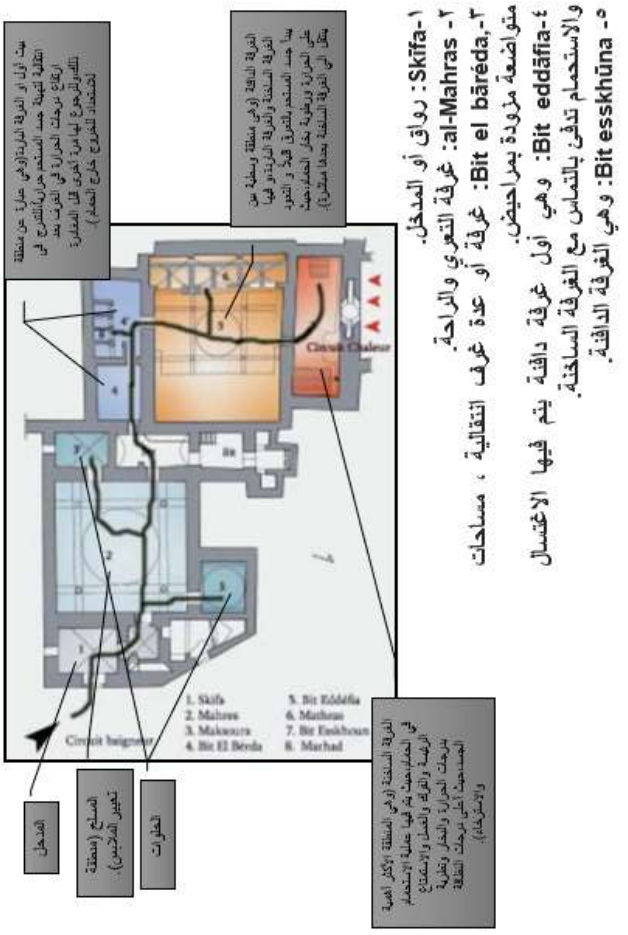

شكل رقم (6) يوضح مسقط أفقي لحمام يوسف صهيب بالمغرب،ويتضح عليه مسار المستحم بداية من مدخل الحمام،والتدرج في غرفه حسب التدرج الحراري،ووفقاً لوظيفة كل غرفة

	0	1	2	3	3'	4	4'	5	6	7	8
0	X	M	-	-	-	-	-	-	-	-	-
1	M	X	M	-	-	-	-	-	-	-	-
2	-	M	X	M	M	-	-	-	-	-	-
3	-	-	M	X	-	-	-	-	-	-	-
3'	-	-	M	-	X	-	-	-	-	-	-
4	-	-	-	-	-	X	M	-	-	-	-
4'	-	-	-	-	-	M	X	M	-	-	F
5	-	-	-	-	-	-	M	X	F	M	-
6	-	-	-	-	-	-	-	F	X	-	-
7	-	-	-	-	-	-	-	M	-	X	-
8	-	-	-	-	-	-	F	-	-	-	X

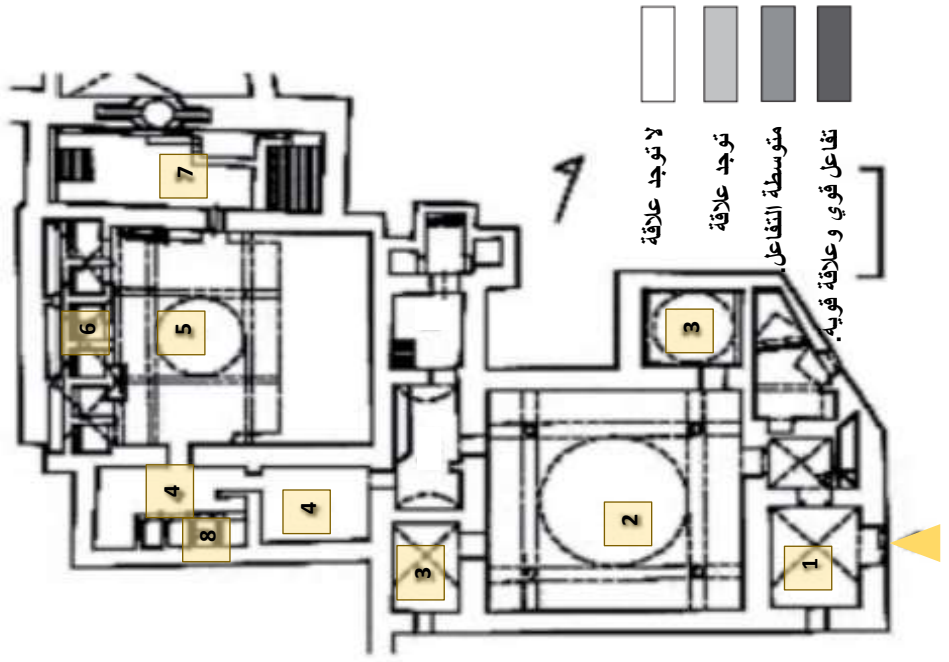

شكل (7) يوضح مصفوفة عن علاقة حمام يوسف صهيب التبادلية بين مكوناته

جدول رقم (1) يوضح تحليل المصفوفة.

الكود	مكونات الحمام	رقم العلاقة
1	المدخلSkīfa :	2
2	منطقة تغيير الملابسal-Mahras	4
3	المقصورة (الخلوة) Maksure1	1
3`	المقصورة (الخلوة) Maksure2	1
4	بيت أول Bit el bāréda1	2
4`	بيت أول Bit el bāréda2	3
5	الغرفة الدافئةBit eddāfia	3
6	منطقة تغيير ملابس ثانويةMahras`	1
7	بيت الحرارة (الغرفة الساخنة) Bit esskhūna	1
8	مرحاض	1

نتائج مستخلصة من عمل المصفوفة لحمام الشعبي التراثي يوسف صهيب:

- في أغلب الحمامات الشعبية التراثية الاسلامية، ثوابت في التركيب المكاني للحمام وهي غالباً ما تكون الفراغات (1، 2، 4، 5، 7) وهي (المدخل، المسلخ (منطقة تغيير الملابس)، بيت البرودة (بيت أول)، الغرفة الدافئة، بيت الحرارة (الغرفة الساخنة) هي المكونات الأولية والاساسية لغلب الحمامات.
- المساحات الأخرى المضافة للوظائف الثانوية هي: (3، 6، 8)، لكنها مرتبطة بشكل صارم ومتتالي بالوظائف الأولى (2، 4، 5).

- يشير وضع حركة المستحم داخل الحمام، إن الحمام الشعبي من المباني ذات المسار الرجعي: حيث يصل المستخدم إلى بيت الحرارة، ثم يعود ويذهب من خلال الحمام في الاتجاه الآخر، ويعيد نفس مساره بشكل مقلوب.
- كما ان من أهم وأبرز المناطق في الحمام الشعبي هو (المسلخ) وهو مرتبط بعلاقات قوية مع باقي الغرف:

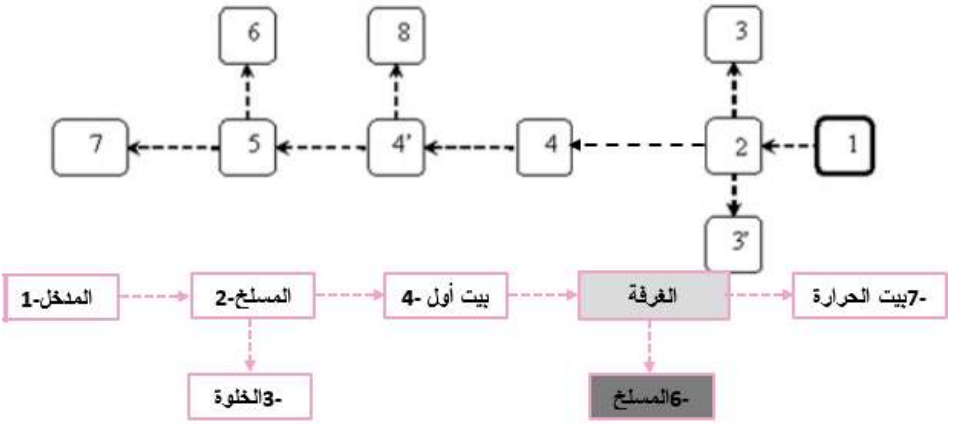

المسلخ له علاقة قوية مع الغرفة الدافئة ،حيث يمكننا من خلاله الوصول إليها.

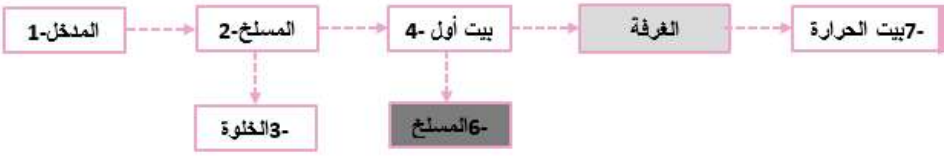

يمتلك المسلخ علاقة قوية مع بيت أول ، ويشكل علاقة قوية معه.

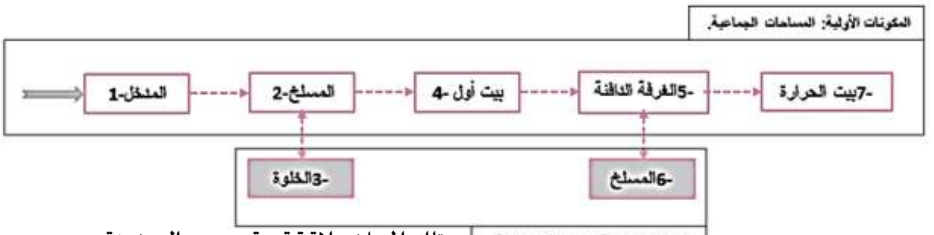

يمتلك المسلخ علاقة قوية مع بيت السخونة.

مخطط رقم (1) يوضح علاقة الحيزات المتالية لحمام يوسف صهيب

- اتجاه الكيانات الباردة في الشمال والكيانات الدافئة الفاترة في الجنوب.

- تتكون المخططات من كيانين مختلفين: منطقة رطبة (نشاط: حمام) ومنطقة جافة (نشاط: الدخول، وتغيير)، تتوافق أعمق مكونات المبنى وأقلها إضاءة مع أكثر المساحات دفئًا داخل الحمام.

- عدم وجود خلجان لتلافي انخفاض درجة الحرارة، على مستوى استخدامات وممارسات الاستحمام.

- الكيان الفاتر معقد، فهو عنصر مركزي يتم تنظيم الكيانات الأخرى حوله.

- مسار المستخدم يتبع اتجاه الحرارة والظلام. (Raftani, K., Moutawakil, R. & Karim, F. ,2006, PP105-111)

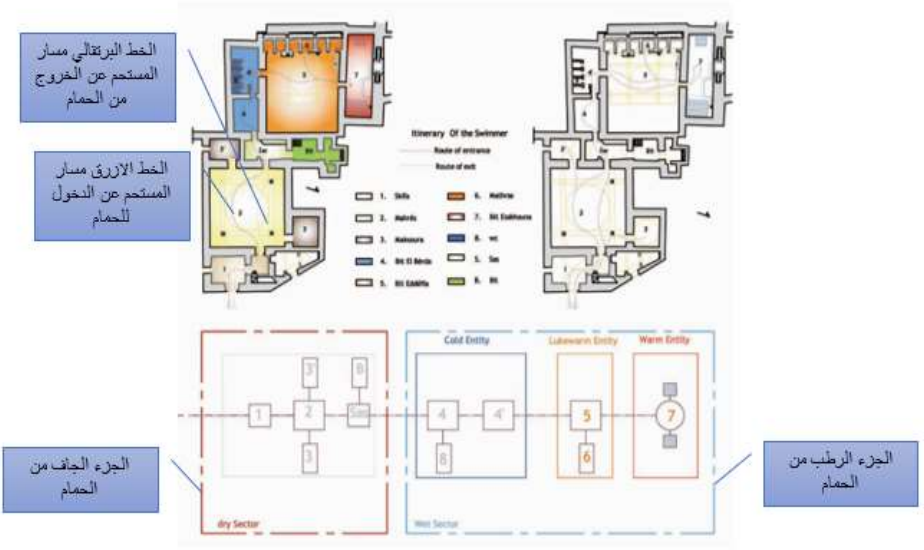

شكل رقم (8) يوضح استخدامات وممارسات داخل حمام يوسف صهيب

5. **حمام درغيت، طرابلس، لبيا:**

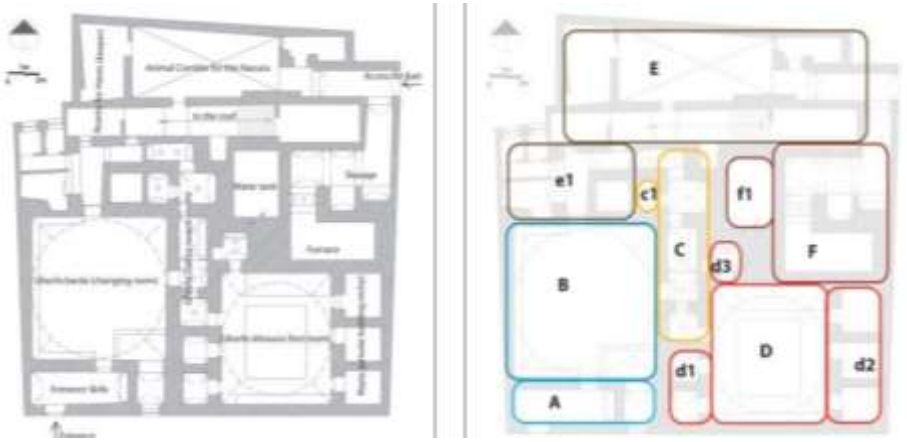

شكل رقم (9) يوضح مسقط أفقي لحمام درغيت ويتضح عليه تقسيم مناطق الحمام للتدرج الحراري والوظيفي

6. **حمام صفارين بالمغرب:**

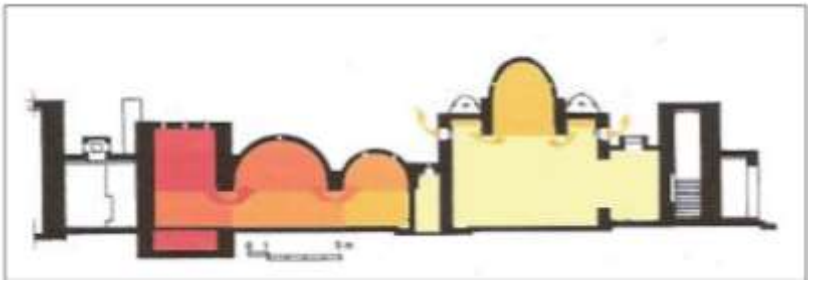

شكل رقم (10) يوضح مسقط رأسي لحمام صفارين الشعبي،ويتضح فيه التدرج الحراري في حيزات الحمام الداخلية. (Redman, C. ,1986,PP71-72)

7. **حمام الطيروزي بدمشق:**

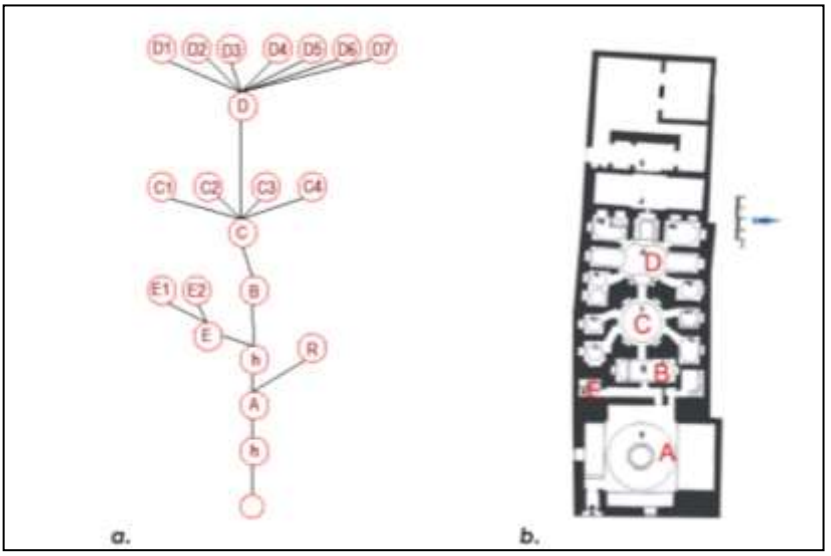

شكل رقم (11) يوضح مسقط أفقي يتضح عليه منهج التدرج الحراري لغرف الحمام الشعبي،وهو حمام الطيروزي بدمشق،ويوضح المخطط a:مسار غرف الحمام،حيث h: هي قاعة المدخل- R: الدرج لأعلى - E: المرحاض -
ب: منطقة الاستحمام الأولى - C: منطقة الاستحمام الثانية
D: منطقة الاستحمام الثالثة.

<u>سابعاً: أمثلة لأنماط التنظيم المكاني الداخلي للحمامات الشعبية المستحدثة، سواء المنتجعات الصحية أو ال SPA أو السونا:</u>

- منتجع سبا نارسيسنباد أوسي، باد أوسي / النمسا،2013م
- تم بناء هذا المنتجع في منطقة جبل(سالكامرغوت)، في قلب النمسا في منطقة الترفيه الشهيرة (أوسى)، عام 2013م. **(موسى، سبتمبر،2017م، ص75-122)**

شكل رقم (12) يوضح مسقط أفقي للطابق التحت الأرضي (البدروم)، ويحتوي على منطقة استقبال،غرف الساونا،كافيه،مسبح خارجي،ومخازن،غرف الحلول التقنية ومكاتب إدارة

شكل رقم (13) يوضح مسقط أفقي للطابق الأرضي، الذي يحتوي على: مدخل،استقبال،المطعم الرئيسي،غرف تغير الملابس،الحمامات العلاجية،المسابح،مكاتب إدارة المنتجع،وأيضاً يحتوي على جلسات خارجية.

شكل رقم (14) يوضح مسقط أفقي للطابق الأول، ويوجد في الطابق الأول غرف التشخيص، وغرف العلاج الطبيعي، وغرف استراحة الأطباء والعاملين.

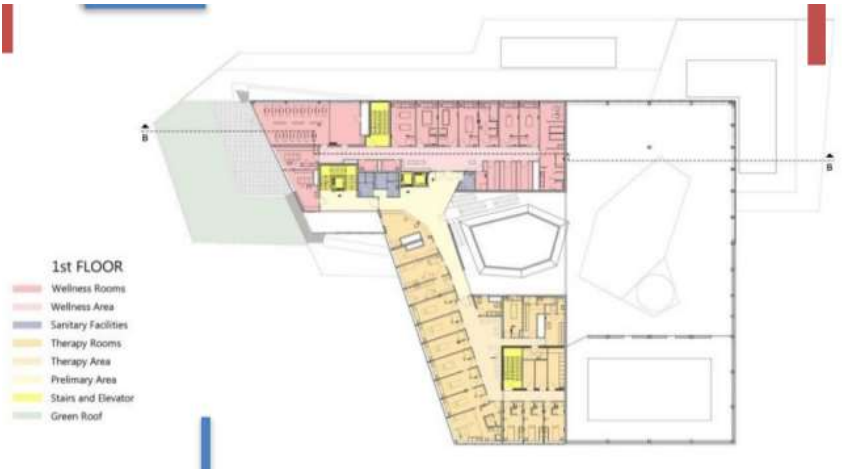

شكل رقم (15) يوضح مسقط أفقي للطابق الثاني الذي يحتوي على فراغات التأهيل البدني

8. **حمام السلطان بالقاهرة، مصر:**

- حمام شعبي مستحدث بالقاهرة، يُقال إنه مصمم على الطراز العثماني أو التركي كما يقول مالكه، ولكنه اعتمد الحمام المغربي أو طقوس الحمام المغربي للاستحمام، واستخدام الخامات المغربية في عملية الاستحمام من اللوف المغربي والصابون والمسكات المغربية، وهو يحتوي على غرف للبخار تصل درجة الحرارة فيها ل 55° والسونا، وأيضاً غرف للمسابح أو المغاطس الساخنة، ويذكرنا هذا بمغاطس الحمامات المصرية الشعبية التراثية، ومقهى وغرفة لتغيير الملابس، وغرف للمساج.
- يبدأ المستحم من الدخول من مدخل الحمام، ثم يذهب لغرفة التغير لتبديل ملابسه ويأخذ القبقاب والمأذر الخاص به، ثم يبدأ في مرحلة الغسيل للجسد بصابون الغار،ثم يدخل غرفة البخار، ثم يعود لنفس مكان الغسيل الأول،ليتم فرك جسده باللوفة المغربية ما يعرف بعملية التكييس،ثم يقوم بالنوم على ظهره في أرضية نفس المكان،ويتم وضع رغاوي الصابون على جسده،وبعض المسكات المغربية،ثم يمكنه أن يذهب إلي غرفة المغطس الساخن،أو إلي غرفة المساج للإسترخاء.(دراسة ميدانية من قبل الباحثة)

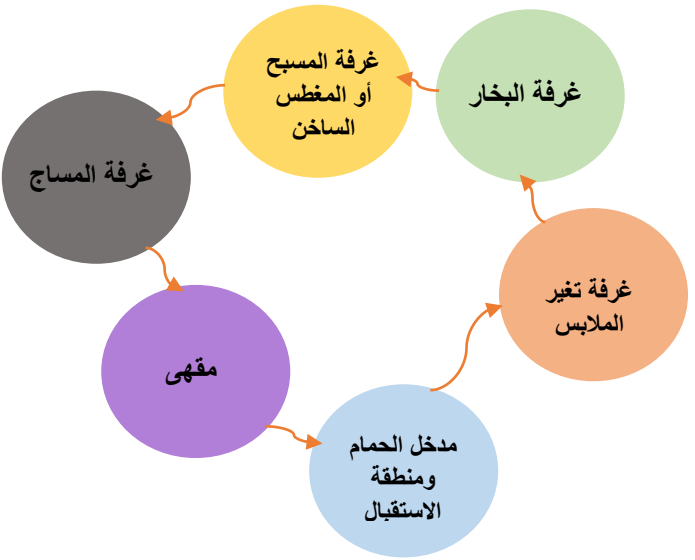

شكل رقم (16) يوضح مخطط كروكي من عمل الباحثة،يوضح مسار المستحم في حمام السلطان،بالقاهرة

صور رقم (3) توضح بعض لقطات للقاعات الداخلية لحمام السلطان،من المدخل وقاعة الاستقبال وغرف المساج،والمقهى،غرف المغاطس.

- **تعقيب:**

ويتضح مما سبق من عرض الأمثلة، نجد أن جميع الحمامات الشعبية التراثية الإسلامية، اعتمدت في تصاميمها وطقوس الاستحمام بداخلها، على فلسفة التدرج الحراري في القاعات الداخلية لها، بينما المنتجعات الصحية والحمامات الشعبية المستحدثة، رغم أنها تتمتع بقدر أكبر من الرفاهية والاسترخاء والتنقنيات الحديثة، إلا أنها أغفلت عن تطبيق التدرج الحراري في

قاعتها وبتطبيق المسار التدريجي للاستحمام، مما يمكن أن يعرض جسد المستحم من عدم التهيئة الحرارية للجسم، إلى بعض المشاكل الصحية، بسبب صدمات الحرارة، والتباين في درجات الحرارة بين المناخ الخارجي والداخلي للحمام.

النتائج:

- يعد الدور الصحي للحمامات الشعبية من أهم أدواره الفعالة في المجتمعات فهو يعيد للبشرة تألقها ولمعانها الطبيعي ويجعلها أكثر شباباً لمدة أطول كما يساعد في تخفيف بعض الحالات المرضية بدءا من الكآبة وحتى التهاب المفاصل و يخلص الجسم من العديد من السموم و المواد الضارة به، وهذا الدور لا تعوضه السونا وحمامات البخار التي انتشرت حاليا بشكل كبير، حيث أن دورة الاستحمام بالحمام الشعبي له دوره الصحي في تعقب أدواره و الانتقال ما بين الفراغات المختلفة ذات درجات الحرارة المتدرجة مما يعطي أثر استشفائي و علاجي من إتمامها وهو ما لا يوجد بأغلب الطرق الحديثة بالنوادي الصحية حالياً.
- تساعد دراسة وتحليل فلسفة التدرج الحراري للغرف الداخلية للحمام الشعبي التراثي، على تطوير عمارة الحمامات الشعبية المستحدثة.
- هناك بُعد مناخي داخلي خاص بالحمامات الشعبية، قد يتعارض مع المناخ الخارجي حسب المدينة أو البلد التي يقع فيها الحمام، والتدرج الحراري وتهيئة الجسد، تفيد في جعل الحمام في نشاط دائم على مدار فصول السنة.

التوصيات والمقترحات:

نظرا لأهمية الحمامات الشعبية التراثية وفلسفتها المعمارية وطقوسها في الممارسات الداخلية، واستدامتها وبقائها إلى الآن على مدار العصور، رغم ما تعانيه من إهمال وتغافل وتلاشي، وتبعاً لما تم سرده من نماذج ونتائج توصي الدراسةبـ:

- دراسة الحمامات الشعبية وتحليها، من حيث الفكر المعماري والتكوين والهيئة الشكلية والخامات، والفلسفة الروحية في عملية تطهير الجسد والروح.

- خوض هذه التجربة الروحانية الفريدة، ومحاولة إحياء هذه الثقافة وهذا الإرث المادي والمعنوي والاهتمام به وترميم ما تبقى منه،
- العمل على تشييد الحديث منها بما يضمن استدامة واستمرارية هذه المنشآت الخدماتية الثقافية، والاستفادة من تاريخها وتطويرها لمواكبة العصر والظروف المستحدثة.

المراجع

المراجع العربية:

1- أبو الفتوح، محد سيف النصر. (1980م)."منشآت الرعاية الاجتماعية بالقاهرة في نهاية عصر المماليك". رسالة دكتوراه. كلية الأداب. جامعة أسيوط.

2- الأصبحي، آلاء احمد محمد. (أكتوبر 2017م)."الحمامات البخارية التقليدية في مدينة صنعاء القديمة: دراسة معمارية وتاريخية وصفية". مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية. الجمعية العربية للحضارة والفنون الإسلامية. العددال8.

3- التميمي، عبد الجليل. (أوت/آب،2001م)." فقه عمارة الحمامات في العصر العثماني (دراسة تطبيقية على ثلاثة من الحمامات في صعيد مصر)". السلسلة الثانية: الآثار العثمانية رقم4.أعمال المؤتمر العالمي الرابع لمكونة الآثار العثمانية حول: التأثيرات الأوربية على العمارة العثمانية وآليات الحفظ والترميم. مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات. زغوان.

4- حسنين، سعاد محمد حسن. (1944م). "الحمامات في مصر الإسلامية. دراسة أثرية معمارية". رسالة دكتوراه. كلية الآثار. جامعة القاهرة.

5- سعداوي، أحمد. (2003م)."حمامات مدينة تونس خلال العصر العثماني ".المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية. مركز الدراسات والابحاث الاقتصادية والاجتماعية. المجلد ال 40. العدد .124.

6- فارحيت، جي. (٢٠٠٣م). " محمد علي مؤسس مصر الحديثة". ترجمة: محمد رفعت عواد. المشروع القومي للترجمة. المجلس الأعلى للثقافة. الطبعة الأولى. القاهرة.

7- المناوي، عبد الرءوف. (1987م)."النزهة الزاهية في أحكام الحمام الشرعية والطبية". الدار المصرية اللبنانية.

8- موسى، سماح محمد عبد المنعم. (سبتمبر2017م)."منتجع سياحي ترفيهي في مدينة يورتسودان. كلية العمارة والتخطيط. قسم التصميم المعماري. جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا.

المراجع الأجنبية:

1- Blaise, J. Y. (2000). « Culture et Recherches » in Outils numériques et représentation de l'architecture patrimoniale, No81-November 2000.

2. Bur, D. et Perrin, J. P (1998). Modélisation et visualisation d'architectures disparues, Colloque - RencontresInternationales de l'Architecture et Ingénierie "IMAGE ET SCIENCE", Nancy, France, Octobre 1998.

3. David, J. C and Hubert, D. (1982). « Le dépérissement du hammam dans la ville: cas d'Alep », cahier de la recherche architecturale n° 10 -11-April 1982.

4. El-Habashi, A. (2006), "Restoration for Site Presentation: The Ruins of the Idrissid Bath in Volubilis, Morocco", in the proceedings of the conference Conservation in Changing Societies: Heritage and Development, Katholike Universiteit, Raymond Lemaire International Centre for Conservation, Leuven, Belgium, PP. 267-276.

5. Marcais, G. (1954) Architecture Musulman d'occident: Tunisie, Algérie, Maroc, Art et métiers graphiques. Espagne, Sicile, Paris, France. p 540.

6. Perrin, J. P., Fasse, I. (1998), Simulation d'architecture en synthèse d'image. in Revue - Ambiances Architecturales et Urbaines, Les Cahiers de la Recherche Architecturale 42/43-January 1998.

7. Raftani, K., Moutawakil, R. & Karim, F. (2006), "Enquête sur les Bains Traditionnels de Fès", ADERFez, Fez, Morocco, PP.90-135.

8. Redman, C. (1986), Qsar es-Saghir: An Archeological View of Medieval life, INC Orlando: Academic Press, PP. 71-72.

9. Saadaoui, A. (2003) « Les bains publics de Tunis à l'époque ottomane » in Revue tunisienne des Sciences Sociales. Vol. 40, N°12, pp. 91-132.

مو اقع الانترنت:

1- https://emagazine.com/how-to-design-eco-friendlier-public-restrooms/?fbclid=IwAR0QsYN1CuDxTB_2kfNvWoey01fXXionn6bvtctHcE4mWmyBNkp4Ra_fF6k.

2- https://gresb.com/sustainable-toilet-in-taikoohui-guangzhou/?fbclid=IwAR1Z92Qqh2Cq6ViUud4HMpxn6CE7UGxhGY-eB5a56VIod2Yv99C-TKWHKyk.

Thermal gradient philosophy for the inner halls of the traditional Islamic baths as a healthy value

Prof. DR. Ashraf Hussein Ibrahim
Professor DR. of Environmental Design at the Department of Interior Design& Furniture, Faulty of Applied Arts, Helwan University
ashrahus@gmail.com

Assistant professor. Dina Fikri Jamal Ibrahim
Department of Interior Design& Furniture, Faulty of Applied Arts, Helwan University

Sara Mohamed Baligh Hasan
Freelance Designer

Abstract:

This research study revolves around an important point that characterizes the design of traditional folk baths, which is the thermal gradient of the interior halls of the bathroom, and the impact of that approach and design philosophy on protecting the body of the bather from exposure to any physical harm, as a result of the temperature difference between the external and internal climate of the bath, while it has now disappeared. The idea of thermal gradient for the interior halls of the traditional folk bath, despite its importance and its health and heritage value as an identity for the folk bath, so through this study we try to shed light on that important feature of the heritage bath, and urge attention to it when designing and constructing modern public baths.

Keywords:

Traditional Islamic folk baths - thermal gradient - the mute doctor.